

شمال العراق وسياسة التصفية العرقية الكردية:

## عن تاريخ كركوك وحقوق التركمان \*

تحدثت الاخبار الاخيرة عن موافقة القوات الكردية التي تحتل محافظة كركوك بتقاسم السلطة مع باقي فئات المحافظة: التركمان والعرب والسريان، واشراك هذه الفئات في قوات الشرطة المهيمن عليها من قبل الاكراد وحدهم. للاسف الشديد اثبتت هذه الزعامات القومية الكردية بانها مثل كل الزعامات الاستبدادية، غير مدفوعة بحس القانون والعدل والضمير بل بحس موازين القوى والخوف. فهي بعد كل جرائمها العنصرية ضد سكان الشمال وقيامها بعلميات التصفية العرقية ضد العرب وتهجير آلاف العوائل وتخريب المسجد الشيعي المقدس لتركمان طوزخورماتو، اضطرت ان تخفف من عنجيتها وروحها الاستحوادية بمجرد ان تأكدت من صحة التهديدات التركية بارسال قواتها لشمال العراق وفرض القانون بقوة السلاح.

ان هذا الواقع يؤكد ضرورة تخلص العراقيين من موقفهم المتشنج ازاء مسألة دخول القوات التركية الى شمال العراق، لأن الايام اثبتت بأنها يمكن ان تلعب دورا ايجابيا في تهدئة المنطقة وتخليصها من حالة الفوضى المتفشية فيها بسبب غياب الدولة العراقية وهيمنة الميليشيات الكردية العنصرية وكذلك عبث الميليشيات الكردية التركية الانفصالية.

### عراقية كركوك

تعتبر محافظة (كركوك) اهم المناطق التي يتركز عليها الضغط العنصري الكردي، لا بسبب كرديتها المزعومة بل بسبب وجود ينابيع النفط فيها. وهي منطقة مقطونة باكراد وعرب وتركمان وسريان. ان الاكراد فيها لا يشكلون ايدا الاغلبية وفي احسن الاحوال لا يبلغ عددهم اكثر من ثلث السكان. علما بان معظم الاكراد الحاليين هم مهاجرين اليها من الجبال الكردية بعد اعوام الثلاثينات للعمل في شركات النفط. لهذا فان عناصر البيشمركة بعد اجتياح المدينة منذ اشهر قاموا بحرق دائرة الطابو بعد الاستيلاء على وثائقها ومن ثم القيام بمنح اوراق الملكية والاقامة العزورة الى اكراد من مناطق اخرى بما فيهم اعداد غفيرة من اكراد تركيا.

ان كركوك تعتبر تاريخيا وحتى الوقت الحالي مدينة تركمانية عراقية اذ يتنقن معظم سكانها اللغة التركمانية بما فيهم العرب والسريان والاكرد. يعتبر التركمان من الجماعات التي تعود باصلها ولها القديمة التي اسيا الوسطى الناطقة بالتركية تانية والتي تنكحون حاليا من الجمهوريات السوفياتية السابقة مثل اوزبكستان وقرغيزستان وكازخستان وطاجكستان. وقد ارتبطت منطقة اسيا الوسطى بعلاقات تاريخية قديمة مع منطقة المشرق الشامي العراقي وبالذات مع العراق. يبدو ان العراقيين منذ القدم اتجهوا بهجرتهم التجارية والتبشيرية نحو المشرق الاسيوي ابتداء من ايران ثم اسيا الوسطى حتى الهند والصين. والذذي عمق هذا التقارب بين العراقيين والتركمنانيين، ان الاثنتين قد خصصا خلال قرون للامبراطورية الايرانية الساسانية قبل الاسلام، وان الكثير من افراد الجيش الساساني المقيمين في العراق كانوا من اصول تركية تانية. ثم ان المبشرين المسيحيين للسيطرة والمانوية العراقيين قد ركزوا نشاطاتهم التبشيرية في مناطق تركستان حتى انتشرت بين تلك القبائل الديانتين النسطورية والمانوية بلغتهما السريانية العراقية. وتعتبر الابجدية السريانية اول ابجدية تركستانية (الاوغورية).

### تاريخ تركمان العراق

ان الحضرة التركماني الحقيقي الذي دولته التاريخ يعود الى اوتال الفتح العربي الاسلامي. ان معظم افراد الجيش الاسلامي بقيادة (عبيد الله بن زياد) عام (54هـ) الذي فتح تركستان كانوا من المحاربين العراقيين، الذين استقروا هناك وتزوجوا مع التركستان. ولم يكتف العراقيون بالاستقرار والتزاوج مع الترك بل انهم بعثوا بالمقاتلين الترك ليهتفروا بدورهم في العراق. يقول الطبري في كتابه الشهير (تاريخ الأمم والملوك): ((ان عبيدالله بن زياد قام في شهر ربيع الأول سنة 54 هـ (673 م) بهجماتته غير (جيجون) على (بخارى) ثم على (بيكتد) فقاومه الجيش التركي تحت إمرة الملكة (قاج خاتون) مقاومة شديدة جدا، جلبت انتباهه واعجابته لما لمسه فيهم من شجاعة فائقة وحسن استعمال الأسلحة، فاختار منهم ألفي مقاتل يحسنون الرماية بالنشاب فبعثهم في العراق وأسكنهم البصرة)). (ص 221 - ج 4) وطبعا فان هؤلاء من التركمان قد انصهروا مع العراقيين واستعربوا مثل الالاف المؤلفة من المهاجرين من مختلف البلدان.

وخلال أقل من قرن تنامي هذا الوجود التركماني في العراق بحيث أنهم أصبحوا جزءاً من الجيش الاموي المقيم. وقد يتلغ الحضور التركماني ذروته في العصر العباسي حيث بدأ الضعف ينتشر بين القبائل العربية المهيمنة وفقدانها لروحها البدوية المحاربة بعد استقرارها في العراق وتمتعها بحياة الخصب والرفاهية. وقد وجد القادة العباسيون في الترك التبدل المطلوب لاحتفاظهم بروحهم الرعوية المحاربة، وخصوصاً في مواجهة خطر الجماعات الرعوية الاوربية القادمة بالهم الحروب الصليبية. وقام الخليفة العباسي (المعتصم) باستقدام اكثر من (50) الف محارب تركستاني من احواله وبنى لهم مدينة (سامراء). وقد برز الكثير من اعلام الحضارة العباسية من اصول تركستانية، مثل الفارابي والبخاري والخوازمي والبيروني والسرخسي والعديد العديد غيرهم، من الذين للأسف احتسبهم المؤرخون القوميون ظلماً على (الايرائيين!!).

واستمر الحضور التركماني مع بروز دور السلاجقة الذي أنقذ قائدهم طغرل بك سنة 1055 هجريا الخليفة العباسي القائم بإمر الله من الوقوع في أيدي التتويهيين. وقد تأسست خلال هذه الفترة والفترات اللاحقة عدة إمارات ودول تركمانية منها الاتابكية في الموصل واربيل والامارة الجلانية ودولتي الخروف الابيض والاسود وغيرها.

### الوجود التركماني

يشكل التركمان الفئة اللغوية الثالثة بعد الناطقين بالعربية والكردية ويأتي بعدهم الناطقون بالسيرانية (سيريحيون آشوريون وكلدان). بسبب غياب الإحصائيات الرسمية فإنه يصعب إعطاء رقم أكيد عن عددهم. لكن إحصاء عام 1957 بين أنهم يتجاوزون النصف مليون، وقد يتلغ عددهم الآن المليون ونصف، أي أكثر من 6% من سكان العراق. يقطن التركمان خصوصاً في المحافظات الشمالية: (كركوك واربيل والموصل وتكريت، بالإضافة التي بغداد لكن تبقى مدينة كركوك هي الأكثر تركمانية حيث تتنود فيها لغتهم حتى بين العرب والأكراد. ان مناطق تواجد التركمان تكاد ان تشكل الخط الفاصل بين الناطقين بالكردية والعربية. التركمان هم مسلمون ومنقسمون تقريباً مناصفة بين شيعة وسنة. هذه الخصوصية الدينية المذهبية منحتم ديناميكية خاصة مكنتهم من الإختلاط والتزاوج مع العرب والأكراد. هناك نسبة كبيرة من العوائل والعشائر العراقية "العربية" تعود إلى أصول تركمانية او خليطة بين التركمان والعرب واحياناً مع الأكراد. ابرز هذه العشائر الكبيرة والمعروفة هم البيات ومنهم الشاعر العراقي المعروف عبد الوهاب البياتي. وقد انتجت مدينة كركوك الناطقة بالتركمانية ابرز مثقفي جيل الستينات (جماعة كركوك) مثل سركون بولص وجليل القيسي وفاصل العزاوي، حيث يتقن الكثير من مثقفي كركوك اللغة التركمانية (والتركية) ويقرأون بها. علمائهم اللغة التركمانية تشبه كثيراً اللغة التركية وكذلك الأذربيجانية، لكن الفرق يكمن في ان الأتراك تخلوا عن الأبجدية العربية وتبنوا الأبجدية اللاتينية، بينما تركمان العراق ابجدتهم هي العربية.

اما بالنسبة لواقع الحركة السياسية التركمانية فإنه لا يختلف كثيراً عن واقع الحركة السياسية العراقية بجميع اطرافها واتجاهاتها بما فيها حزب البعث نفسه. حيث تعاني هذه الحركة من المعضلتين التاليتين:

- السيطرة المطلقة للعنصر السياسي على القيادات وغياب دور المثقف بسبب تبعيته للسياسيين من خلال القمع والتدجين والكسب الأيدلوجي..

- ضعف الإلتئام الوطني والتبعية السياسية والفكرية لمراكز خارجية: ثقافية واممية وقومية ودينية..

بالنسبة للتركمان فإن هنالك اتجاهات عديدة، أهمها الإتجاه القومي المرتبط فكرياً ومايها بتركياً، ثم الإتجاه الإديني التشيعي. وعموماً فإن النخب التركمانية مثل معظم النخب العراقية بدأت تدرك في السنوات الاخيرة مدى التطرف في تلك الطروحات القومية التي تيار الارتباط بالخارج، العروبي والكردوي والتركاوي والاشوروي، وغيره، على حيناب الارتباط بالوطن العراقي. لهذا فإن الميل الحالي هو الدعوة إلى التخلي عن تلك المفاهيم القومية الخارجية والتمسك بالمفاهيم الوطنية الواقعية التي يجتمع عليها جميع العراقيين من مختلف فئاتهم الاقوامية والدينية. ان المؤتمر الاخير للجبهة التركمانية والذي انعقد في كركوك منذ بضعة ايام، ادى الى صعود قيادة جديدة وشابة ومن ابتداء الداخل العراقي بل من ابناء بغداد، وهذا يبشر بسياسة أكثر وطنية وواقعية متخلصة من الأرواح الذليلة والضعيفة التي كانت تمارسها القيادة السابقة التابعة تماماً لانقرة.

### مطالب التركمان

ان المتبع للجدالات الدائرة في الوسط التركماني يمكنه ان يستخلص المطالب الاساسية التي تجتمع عليها معظم الاطراف التركمانية، وهي تشتمل على ناحيتين، سياسية وثقافية.

## المطالب السياسية:

- تغيير المادة الواردة في الدستور العراقي والقائلة (العرب والأكراد شركاء في الوطن)، لكونها مادة غير وطنية وغير ديمقراطية لأنها تعزز التمييز القومي في العراق، وتبخس حقوق الفئات العراقية المختلفة، كما أنها لم توضع نتيجة استفتاء شعبي أو برلماني بل هي من وضع أنظمة عسكرية وقومية متعصبة. ان جميع الدساتير الديمقراطية في العالم تتفق على القول (ان جميع المواطنين مهمما كاتات اصولهم وطبقاتهم وفتاتهم هم شركاء في الوطن) نعم ان جميع العراقيين شركاء في الوطن، بغض النظر عن اصولهم الاقوامية والدينية والمذهبية والمناطقية.

- التأكيد على عراقية كركوك وخصوصيتها التركمانية، ورفض المزاعم القومية الكردية باعتبارها جزءا من كردستان. ان هذا الموقف يقتضي اولا اتفاق العراقيين جميعهم على تحديد ماهية "حدود كردستان" بصورة رسمية وعقلانية نهائية، وعدم ابقائها هكذا معلقة وعرضة لتزوات الادعاءات القومية والميليشيات الميلحة التي ابتغلت للاسف غياب الدولة العراقية وتشتت القيادات السياسية وإهمال النخب المثقفة، بالقيام بحملات تفتية عرقية كردية ضد المواطنين العرب والتركمان والسريان وطرد الناس من بيوتهم وفرض اتباعهم على الادارات المحلية.

- الاعتراف بالوجود التركماني في أربيل رسميا والتأكيد على حقوقهم الثقافية والسياسية المتميزة في هذه المحافظة العراقية، وارجاع حقوقهم المغبوتة من قبل الحكومات السابقة من ناحية الاعتراف بتميزهم اللغوي والثقافي ابيوة باخوتهم الاكراد والسريان.

- تمتع التركمان باحقية حصولهم على مناصب قيادية في أجهزة الدولة العراقية بما فيها الجيش والادارات، والتأكيد على اشراك جميع الفئات العراقية في ادارة الدولة والجيش بصورة عقلانية قائمة على العرف والاخلاق من دون اية داع لاستخدام طريقة (التوزيع الطائفي) على الطريقة اللبنانية، المنافية لروح الوحدة الوطنية وحرية المعتقد. يتوجب من اجل هذا تخصيص مراقبة برلمانية شديدة لمنع اية محاولة لاحتكار الدولة والجيش من قبل اية فئة مهما كانت.

- توجيه الاهتمام بالمناطق التركمانية المهملة والمهمشة، وايقاف حملات التعريب ومحاولات تكرير هذه المناطق في كركوك وأربيل، وتعويض العائلات التركمانية المبعدة الى جنوب العراق أو الى شماله، واعادة الجميع الى وظائفهم.

- الغاء آثار العملية التي قامت بها اجهزة الاحصاء الحكومية بارغام التركمان وياقي الفئات العراقية من غير العرب والاكرد، على تسجيل انفسهم في الوثائق الرسمية، اما كعربي او كردي!!

## المطالب الثقافية:

- ادخال اللغة التركمانية كلغة اختيارية للدراسة والاطلاع في جميع مدارس العراق وحتى الجامعات. والتثقيف باعتبار اللغة التركمانية (كذلك اللغتين الكردية والسريانية) كلغة عراقية اصيلة تحمل الكثير من التراث المحلي وتساهم من جانب آخر في تواصل العراق على كافة الأصعدة مع الشعوب الناطقة بالتركية، وتدعم مصالح العراق مع تركيا واذربيجان وتركمناستان واوزبكستان وقرغزستان وقازاقستان، واعتبار هذه اللغة جسرا للتواصل الحضاري مع تلك الشعوب..

- رد الاعتبار للميراث التركماني العراقي من خلال التعريف بشخصياته الثقافية المهمة مثل فضولي البغدادي ونديمي، واعتبار هذه الشخصيات وميراثها جزءاً من الميراث العراقي وفخرا لجميع العراقيين، وليس للتركمان وحدهم. وفي مجال لهذا الميراث بالاشتراك مع ياقى الميراثات المحلية العراقية لان تغيير عن نفيها في وسائل الاعلام الوطنية والتعريف بها على انها نتاجات وطنية تهم كل العراقيين.

□ إعادة الترميمات التاريخية الى المدن والمناطق والقطعات التركمانية. علمنا ان معظم هذه الالماء هي من اصول عراقية (أرامية) وليست تركمانية، ولكن اعتزاز التركمان بها لانها اصبحت جزءا من تراثهم الثقافي والمشاعري. لتذكر ان اسم (كركوك) هو اكثر عراقية واصالة تعود لما يقرب الالف عام، من اسم (التأميم) البعثي المصطنع.

ن القراءة العميقة لهذه المطالب تكشف في جوهرها، بانها لا تمثل (حقوق التركمان) وحدهم بل حقوق جميع الفئات العراقية مهما كانت لغوية او مذهبية او دينية. ان معظم الفقرات الواردة تبقى صالحة لو تغير اسم (التركمان) الى (سريان) او (يزيدية) او (صابنة) مثلا. نعم انها مطالب وطنية نأمل ان يقوم دستور العراق الجديد بأخذها بنظر الاعتبار لأنها قائمة على اساس الايمان بوجود (امة عراقية) تضم مختلف الفئات، وهذا نقيض تام للفهم الحالي السائد القائم على ابيس فنوية قومية وطائفية كاتات ولا زالت سبب خراب الوطن . ان هذا الفهم الوطني هو وحده القادر على توحيد

العراقيين أفي (هوية وطنية مشتركة) وتخليصهم من التمزيق الداخلي، الروحي والمادي، الذي يتسببه تمكثت الطغمة  
الانعزالية الاستبدادية من فرض سطوتها طيل عقود وعقود.

\* لمن يرغب بالمزيد من المعلومات حول اشكالية الفئات العراقية، يمكنه العودة الى كتابنا (جدل الهويات) الصادر حديثا عن المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر - بيروت

---

[Register eDocPrinter PDF Pro Online Now!!](#)